



إذا ما اعتراني اشتياقٌ لِدَارِ أَبِي فِي الْجَلِيلِ

أَتَيْتُ لِأَنْتَرِ بَوحي هُنَا

وَإِذَا يَفِيضُ بِقَلْبِي لِأُمِّي لَهَيْبُ

أَجِيءُ لِأَطْفَاهُ هَاهُنَا

وَإِنْ ضَاقَ سِجْنِي عَلَيَّ

هَرَعْتُ لِأَبْكِي لِمَيْسِي هُنَا

هُنَا فِي غَلِنكو

عَلَى صِغَةِ النَّهْرِ بَيْنَ بَرَارِي أَنْتِظَارِي

أَرَى قَمَرًا شَاحِبًا خَجَلًا مِنْ دَموعِ التُّكَالِي

تُمْسِّطُ خُطَوَاتُ وَجْدِي ظِلَالَ فَتَاةٍ تَهِيمُ عَلَى صَوْتِهَا الْمُخْتَنِقُ

تُلاحِقُ آثَارَ أَقْدَامِ طِفْلِ تَحَطَّتْهُ سِكِّينَةُ الْقَاتِلِينَ

وَيَسْمَعُ قَلْبِي أَصْدَاءَ مِزْمَارِهَا، قِرْبَةَ

رَاوَعَتْ طَعْنَةً مِنْ وَحوشِ الظَّلَامِ وَطَارَتْ

لَمْ يَزَلْ لِحْنُهَا مِلءَ هَذَا الْفِضَاءِ يُعْنِي



أرى في مَرايا البُحيراتِ  
وَجَهي الذي صادَرتهُ الطواغيتُ  
أعرِفُ هذي الجبالَ  
وأحفظُ عن ظَهْرِ عَيبِ تَجاعيدَها الحانِياتِ  
الصخورَ، الزهورَ، القبورَ،  
الثلوجَ، المروجَ، الكهوفَ، الجداولَ  
صَمَتَ عَويلِ الرياحِ، أنينَ الغيومِ  
وأسطورةَ الوحشةِ الموجِعةِ  
سُيولَ المياهِ نُزولاً، سُيولَ الدموعِ طُلوعاً  
حَمَلتُ تَفاصيلها الخافياتِ هويّاً في ضلوعي  
وَجِئتُ بِها من بِلادي  
وَتَبَّتها هاهُنا  
هُنا قاسيونُ، وَذلكَ كَرِملُ حيفا  
فُؤادي الممزَّقُ بَينَ الهضابِ



وَهَا جَبَلُ الشَّيْخِ فِي وَطَنِي الْمَسْتَبَاحِ  
يُعَانِقُ جَيْدَ السَّمَاءِ، وَيَهِيطُ تَشْوَانَ بِالْمَعْجَزَاتِ  
يُرَاقِصُ غُزْلَانَ رُوحِي تَرَكَضُ حُرِيَّةً فَوْقَ هَذِي الرَّوَابِي  
هُنَا بَيْنَ رَانُوحٍ مَوْرٍ وَغَلْنِكُو

طَلَيْفًا مِنَ الْخَوْفِ، حُرًّا  
أَهْجِي انْحِنَاءَاتِهِ وَقَمَّتُهُ الْعَالِيَةَ  
تَجَاوِيفَ وَدِيَانِهِ وَعُزْلَتَهُ الطَّاعِيَةَ  
شُمُوحَ النَّسُورِ، وَعِزَّةَ نَفْسِ الصَّقُورِ  
عَوَاصِفَ ثَلْجِ الصَّبَاحِ الْكَثِيبِ  
وَأَسْرَارَ عِطْرِ الصَّنُوبِ وَالْأَسِّ حِينَ يَفُوحُ  
وَزَهَرَ الْحَلَنَجِ الْمَفْتِحِ فِي جِسْمِي الْمُتَّكِي فَوْقَ جُرْحِي الْقَدِيمِ  
حُلُودَ سَنَاتِي، وَإِسْمِي الْمُضَبَّعِ فِي شَجَرَةِ الْعَائِلَةِ  
رَوَائِحَ عُشْبِ تَأَلَّهُ فِي جَوْفِ صَدْرِي  
وَأَهَاتِ جَدَّاتِي الْغَابِرَاتِ



صُعوداً صُعوداً

كَأني أشمُّ دماءَ الذين قضاوا في المجازِ

أهلي السبايا هُنَاكَ، وَأهلي الضحايا هُنَا

فَيَا كَفَرَ قاسِمِ نَادِي شاتِلا

ويا دِيرَ ياسينَ هَلَّا مَسَحَتِ دموعي بِصبرا

ويا تَلِّ زَعترِي المُستَعَادَ بِيرموكِ قَلبي

ويا آلَ ماكدونالد

ويا أُمَّهَاتُ، ويا شُهَدَاءُ، ويا سُجَنَاءُ

ويا أَيُّهَا اللائذونَ مِنَ المَوْتِ بالمَوْتِ

يا كُلُّ طِفْلٍ دَبِيحٍ على أرضِ سورِيَّتِي

بَعْضُ مِنكم أَنَا، ها تَصَبْتُ شِغافِي لَكُم حَيمةً وَسِعَ هذا المَدَى

فَاحْتَمُوا بي

هُنا تَنْهَضُ الأَغْنِياءُ

تَمُدُّ تَوافيرَها تَحَوِّ سايِعِ كَوْنِ

من اليرموك إلى غلنكو



وَتُشْرِقُ طَلًّا

وَنَجْمَاتٍ صُبْحٍ بَهِيٍّ

يَلِيْقُ بِضِحْكَاتِنَا النَّاجِيَّاتِ

صُعوداً صُعوداً

تَصَاعَدُ فِي دَاخِلِي الْأَغْنِيَةِ:

(كَمْ كَانَتْ قَاسِيَةً تَلْكَ الثَّلُوجُ الَّتِي تَجْتَا حِ غِلْنِكُو

وَتَغْطِي الْقَبْرَ يَا دُونَالِد

كَمْ كَانَ قَاسِيًا ذَلِكَ الْعَدُوُّ الَّذِي اغْتَصَبَ غِلْنِكُو

وَقَتْلَ بِأَجْرَامِ آلِ مَآكِدُونَالِدِ)\*

نُزُولًا نُزُولًا

تَصَاعَدُ فِي دَاخِلِي الْأَغْنِيَةِ:

(يَا زَرِيْفَ الطُّوْلِ وَقِفْ تَا قُلُّكُ



رايح عالغربة وبلادك احسنلك  
خايف يا محبوب تروح وتتملك  
وتعاشر الغير وتنساني أنا).

\*مقطع من أغنية سكوتلنديّة شهيرة عن مجزرة غلنكو التي حصلت عام 1692

“من اليرموك إلى غلنكو”

قصيدة شاركتُ بها في أنطولوجيا شعريّة عن مناطق وشخصيّات نقيضة في سكوتلندا، وغلنكو (وادي كو) هي منطقة جبليّة وعرة جدّاً في الهايلاندز في سكوتلندا، ويشعر زائرها برهبة شديدة من قسوة الطبيعة فيها.

في عام 1692 حصلت في هذه المنطقة مجزرة ذهب ضحيّتها 38 شخصاً من الرجال والنساء والأطفال من قبيلة ماكدونالد الإسكوتلنديّة التي لم تعطِ الولاء وقتها للعرش الإنكليزي، الضحايا قُتلوا غدرّاً بينما كانوا نائمين من قبل فصيلة من الجيش استقبلوها واستضافوها في بيوتهم بغرض التفاوض، وتعرف المجزرة بإسم (Glencoe massacre)

زررتُ هذه المنطقة ثلاث مرّات في السنوات الماضية، وفي كلّ مرّة كنت أشعر وكأنيّ أعرفها من قبل، في قصيدتي التي كتبتها بالعربيّة، والتي ترجمتها إلى الإنكليزيّة، سافرت مكانيّاً وزمانيّاً بين غلنكو وبين جبال الكرمل والشيخ وقاسيون، واستذكرتُ مجازر دير ياسين وكفر قاسم وتلّ الزعتر وصبرا وشاتيلا واليرموك وسوريّا كلّها في مجزرتها

[رابط القصيدة على الموقع الإسكوتلندي](#)



من اليرموك إلى غلنكو

الكاتب: إياد حباتلة